الولاية : عموم الولايات

التاريخ : 2017.06.02

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿1﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿2﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿3﴾

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿4﴾

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي - قَالَ - وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ

فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ

جوعُ الصّوْمِ دَواءُ الجَشَعِ وَالطّمَعِ

بارَكَ اللهُ لَكُمْ فى جُمْعَتِكُمْ إخوانىَ الأعِزّاءُ!

الحَمْدُ للهِ الذى بَلَّغَنا نَحْنُ المُؤمِنينَ رَمَضانَ، شَهْرَ الرّحْمَةِ والمَغْفِرَةِ. والصّلاةُ والسّلامُ على سَيّدِنا مُحَمّدٍ الذى عَلّمَنا أَنَّ الصّوْمَ مَدْرَسَةٌ وصَديقٌ يُعَمّرُ أرْواحَنا.

إخوانى!

يَتَوَجّهُ اللهُ تَعالى إلى النّاسِ الذينَ وَقَعوا أَسْرى أَهْوائِهِمْ وشَهَواتِهِمْ، وباتوا فى غَياهِبِ الجَشَعِ والطّمَعِ، بِهَذا السّؤالِ الذى يَأْخُذُ الأرْواحَ: "فَأَيْنَ تَذْهَبون"[1]. هَلْ تُدْرِكونَ الطّريقَ الذى تَذْهَبونَ فيه؟. فى هَذا الشّهْرِ المُبارَكِ، فى شَهْرِ القُرْآنِ يَنْبَغى أنْ نَسْأَلَ أنْفُسَنا هَذا السّؤالَ مَرّةً أخْرى. وبِهَذا السّؤالِ يَنْبَغى أنْ نَنْتَفِضَ ونَعودَ لِصَوابِنا، ويَنْبَغى أنْ نُفَكّرَ مَلِياً فى الإجابَةِ على هَذا السّؤالِ.

أيّها المُؤْمِنونَ الأعِزّاءُ!

رَمَضانُ واحِدَةٌ مِنْ أجْمَلِ وأحْسَنِ الفَتَراتِ التى نَشْهَدُها لِلإجابَةِ على هذا السّؤالِ؛ لِأنّهُ يُذَكّرُنا بِما نَسِيناهُ، ويَدْعونا لِلتّفَكُّرِ والتّأَمُّلِ. ورَمَضانُ بِما يَحْمِلُهُ مِنَ الصّوْمِ وقِراءَةِ القُرْآنِ والصّلاةِ والذّكْرِ والتّوْبَةِ والصّدَقَةِ والدُّعاءِ؛ يَزْرَعُ السّكينَةَ فى نُفوسِنا. رَمَضانُ يَتْرُكُنا فى جوعٍ مِنْ وَقْتِ الإمْساكِ إلى وَقْتِ الإفْطارِ، فَيُداوى الجَشَعَ والطّمَعَ الذى يُشَكّلُ مَنْبَعَ السّيّئاتِ والمُنْكَراتِ كُلِّها. واللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى يُخْبِرُنا فى سورَةِ التّكاثُرِ هَذِهِ الحَقيقَةَ فَيَقولُ سُبْحانَهُ: "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ"[2].

إخوانى!

قَرَأَ رَسولُ اللهِ عَلَيْهِ الصّلاةُ والسّلامُ سورَةَ التّكاثُرِ يَوْماً ثُمّ تَوَجّهَ إلى أصْحابِهِ وسَأَلَهُمْ هذا السّؤالَ الذى يَجِبُ أنْ نَتَوَقَّفَ عِنْدَهُ مُطَوّلاً: "يقولُ ابْنُ آدَمَ: مَالى، مَالى، وهَلْ لَكَ يا بْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلا ما أكلتَ فأفْنَيْتَ، أو لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ، أو تصَدَّقْتَ فأمْضَيْتَ؟"[3].

إخوانى!

إنّ الطّمَعَ والجَشَعَ هو مَصْدَرُ كُلِّ السّوءِ الذى يَتَعَرّضُ لَهُ الإنْسانُ والإنْسانِيّةُ. وهَلْ مِنْ سَبَبٍ لِلدّماءِ التى تُسْفَكُ

فى جُغْرافِيَّتِنا والآلامِ التى يَعيشُها المُسْلِمونَ سِوى جَشَعِ القِوى العالَمِيّةِ؟ وهَلْ غَيْرُ هذا الجَشَعِ والطَّمَعِ يُسَبِّبُ اخْتِلالَ تَوازُنِ البيئَةِ وتَخْريبَ الطّبيعَةِ وتَلَوّثَ البيئَةِ وتَعديلَ بُنْيَةِ النّباتاتِ والبُذورِ واللّعِبَ بِحَياةِ الإنْسانِ ومُسْتَقْبَلِهِ؟.

إخْوانى!

فى أَجْواءٍ كَهَذِهِ الأجْواءِ يَأْتى رَمَضانُ والصّوْمُ فَيُضِىءُ قُلوبَنا وأجْسادَنا، ويُقَدِّمُ لَنا فُرْصَةً كَبيرَةً لِلتّخَلُّصِ مِنَ الطّمَعِ والجَشَعِ. يَأْتى رَمَضانُ والصّوْمُ فَيُذَكّرُنا أنّ ما نَمْلُكُهُ لَيْسَ لَنا فى حَقيقَةِ الأمْرِ، وأنّ الأنْعُمَ المادِيّةَ والمَعْنَوِيّةَ سَبَبٌ لِلامْتِحانِ والابْتِلاءِ. يَأْتى رَمَضانُ لِيَجْعَلَنا نُدْرِكُ أنّ الدّنْيا فانِيَةٌ وأنّ الآخِرَةَ هى الحَياةُ الباقِيَةُ، ويُعَلِّمُنا التَّشارُكَ والقَناعَةَ والشُّكْرَ، ويُعَلِّمُنا أنَّ الغِنى لَيْسَ غِنى المالِ بَلْ غِنى النّفْسِ، ويُخْبِرُنا أنَّ طَريقَ السَّعادَةِ فى الدّنْيا والفَلاحَ فى الآخِرَةِ لا يَمُرُّ مِنْ جَمْعِ المالِ والثّرْوَةِ، بَلْ يَمُرُّ مِنْ كَسْبِ القُلوبِ وجَمْعِ الأدْعِيَةِ.

إنْ كانَ الأمْرُ كَذَلِكَ فَتَعالَوْا يا إخْوانىَ الكِرامُ نُمَكِّنُ الصّوْمَ والعِباداتِ الأخْرى لِيَجْعَلَنا مُؤْمِنينَ تَحَرّروا مِنَ الطّمَعِ والجَشَعِ ورَضُوا بِالقَناعَةِ والشّكْرِ، ونُسَلِّمْ قُلوبَنا لِرَمَضانَ.

إخْوانِىَ الأكارِمُ!

لَقَدْ احْتَرَقَتْ أفْئِدَتُنا لَدى سَماعِ خَبَرِ اسْتِشْهادِ أبْنائِنا فى هَذِهِ الأيّامِ التى نَعيشُ فيها فَرْحَةَ رَمَضان. ذَهَبَ أبْناؤنا شُهَداءَ فى سَبيلِ وَحْدَتِنا واتّحادِنا وسَكينَتِنا وقِيَمِنا وحَتّى نَمْضِىَ رَمَضانَ فى طُمأنِينَة. أسْألُهُ سُبْحانَهُ الرّحْمَةَ على شُهَدائِنا والشّفاءَ العاجِلَ لِلْمُصابين. أسْألُهُ جَلّ وعَلا أنْ يُلْهِمَ ذَويهِمْ وأُمّتَنا الصّبْرَ والسّلْوانَ. والعَزاءَ لِشَعْبِنا وأمّتِنا. اللّهُمّ آمين.

---

[1] التكوير، 81/ 26.
[2] التكاثر، 102/ 1-8.
[3] مسلم، الزهد، 3.

إعداد: المديرية العامة للخدمات الدينية